جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

اثر الحرب العراقية – الايرانية على اوضاع الاطفال

نزيهة محيي الدين الاعرجي

الرياض

1409 هـ - 1989 م

أثر الحرب العراقية ـ الايرانية على أوضاع الأطفال

نزيهة محيي الدين الأعرجي

المقدمـــــة :

لاشك أن الخوض في دراسة التأثيرات التي أحدثتها الحرب العراقية ـ الايرانية أمر سابق لأوانه ذلك أن هذه الحرب ما زالت قائمة وليس من السهل الوقوف على تأثيراتها المختلفة ولا سيما تأثيرها على الأطفال والناشئة بالدقة التي ينبغي أن يتميز بها هذا البحث لندرة الأبحاث والدراسات التي تتناول هذا الموضوع من أية زاوية من زواياه الأمر الذي جعل دراستنا هذه تواجه صعوبة بالغة في الحصول على المعلومات والبيانات الكمية التي من شأنها القاء الضوء على بعض جوانب هذا الموضوع

ونود التنويه هنا الى أن دراستنا هذه قد جاءت تلبية لطلب الأمانة العامة للشئون الاجتماعية في جامعة الدول العربية لاعداد دراسة حول وضع الأطفال في المناطق التي تعاني من آثار الحروب وهي تعتبر محاولة متواضعة اعتمدت التحليل الكيفي كأسلوب

وكطريقة للوصول الى بعض الاستنتاجات ويبدو للمتتبع أن الحرب التي فرضت على العراق ما هي الا تعبير وافراز لطبيعة الصراع الحضاري القائم بين العراق وايران والذي أسهمت في خلقه وتعميقه عوامل عديدة بعضها قديم ارتبط بالاحداث التاريخية وبعضها جديد ارتبط بطبيعة النظام القائم في ايران الذي سعى ويسعى لفرض هيمنته واحلامه التوسعية على العراق ومنطقة الخليج العربي ككل تحت واجهات كاذبة وشعارات زائفه

ان تشبث ايران بتحقيق هذه المطامع جعلها تصر على مواصلة الحرب ورفض كل دعوات السلام طيلة السنوات الثماني التي مضت على هذه الحرب والتي عمقت من تأثيراتها المختلفة على شرائح المجتمع وعلى الأخص شريحة الأطفال.

ان امتداد الحرب لهذه السنوات الطويلة قد وسع من دائرة تأثيراتها على الأطفال وجعل البحث في هذا الموضوع أمراً في غاية التعقيد والصعوبة لتشابك هذه التأثيرات

الأمر الذي يحتاج الى تضافر جهود فريق بحث مشترك يضم المتخصصين في العلوم الانسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم التربوية والصحية للوصول الى تحديد علمي لابعاد وجوانب هذه التأثيرات وفي ضوء ذلك فان دراستنا هذه لا يمكن أن تعتبر سوى محاولة استطلاعية لتسليط الضوء على زاوية صغيرة من زوايا هذا الموضوع آملين أن تكون حافزاً ومنطلقاً لدراسات أخرى أكثر عمقاً

وشمولا تقوم على اخضاع عينات من الأطفال للاستقصاء والبحث بالاعتماد على أدوات ومقاييس علمية مناسبة للوصول الى تحديد واضح لانعكاسات الحرب عليهم من الجوانب النفسية والتربوية والاجتماعية والصحية

حمايـــــة الطفولـــــة

أولا: حقوق الأطفال في ضوء المواثيق العربية والدولية:

يعتبر الاهتمام بحقوق الطفل من نشاطات المجتمع الدولي في حقل حقوق الانسان.

ولقد بدأت مرحلة تقنين حقوق الطفل منذ الثلاثينيات حيث اعتمد في عام ١٩٢٤م ما دعي باعلان جنيف لحقوق الطفل.

وبعد تأسيس هيئة الأمم المتحدة أبدت اللجنة المنبثقة عن الجمعية العامة وهي اللجنة المختصة بالقضايا الاجتماعية والانسانية اهتماماً بالغاً بحقوق الطفل آخذة بعين الاعتبار اعلان جنيف السالف الذكر

وظهرت آثار هذا الاهتمام بحقوق الطفل مترافقة مع الاهتمام العام بحقوق الأسرة والأمومة في ميدان حقوق الانسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

وأول نص اعتمد في نطاق الأمم المتحدة هو الفقرة الثانية من المادة (٢٥) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في ١٠ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٨م والتي أكدت على رعاية متميزة.

وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً في عام ١٩٥٤م أوصت بموجبه الدول الأعضاء أن تحتفل بيوم عالمي للطفل اعتباراً من عام ١٩٥٦م ثم اتجهت الأمم المتحدة الى تقنين اعلان خاص بحقوق الطفل فأصدرت الجمعية بتاريخ ١٩٥٩/١١/٢٠م الاعلان العالمي لحقوق الطفل وينطوي هذا الاعلان على منطلقات انسانية متقدمة في مجال الاهتمام بحقوق الطفل، وقد تضمن الاعلان عشرة مبادىء أكدت عليه ضرورة تمتع جميع الأطفال بالحقوق المقررة في هذا الاعلان بدون أي تمييز أو تفرقة بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين.

كما أكدت على تمتع الطفل بالحماية الخاصة المناسبة وبالفرص والتسهيلات القانونية لاتاحة نموه الجسمي والعقلي والخلقي والروحي والاجتماعي.

وأفردت مبدأ خاصاً بحق الانتماء ومبدأ آخر بالضمان الاجتماعي وحق النمو الصحي السليم، من جانب آخر فان هذا الاعلان منح الطفل ذا العاهة حق العلاج والترفيه وفق ما تتطلبه حالته الصحية، كما أكد على اكتمال بناء شخصيته وحس تنشئته في ظل مسئولية واعية من الوالدين وعلى حق التعليم المجاني والالزامي

وخاصة في مراحله الأولى دون اغفال للجانب الترفيهي الموجه، مركزاً على حمايته سن الاستغلال والقسوة والاهمال والاضرار بصحته واعطائه الأولوية في الاغاثة، وقد اتخذ الاهتمام الدولي بحقوق الطفل منحي جديداً ومتميزاً في السبعينيات اذ أصبح ينظر الى هذه الحقوق باعتبارها جزءاً من متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وبمراجعة سريعة لحيثيات قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار عام ١٩٧٩م سنة دولية للطفل يبرز التأكيد على المنحى المذكور حيث أن هذا القرار حث الحكومات على توسيع مناطق جهودها على المستوى الوطني ومستوى المجتمع المحلي لتحسين أوضاع أطفالها بصفة دائمة مع ايلاء اهتمام خاص للفئات الأضعف ولا سيما الفئات المحرومة واهاب القرار بالوكالات والهيئات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة أن تساهم في اعداد وتنفيذ أهداف السنة الدولية

ووضع القرار الاطار التنظيمي والاداري لتنسيق أنشطة السنة الدولية للطفل وأناط هذه المهمة بمنظمة الأمم المتحدة للأطفال ودعا المنظمات غير الحكومية والجمهور الى المشاركة بتلك الأنشطة ويمثل هذا القرار مرحلة جديد س الاهتمام بحقوق الطفل حيث أوقف المجتمع الدولي على عتبة صياغة اتفاقية دولية خاصة بحقوق الطفل، بعد هذه النمحة السريعة عن الاهتمام الدولي بحقوق الطفل وافاقه المستقبلية يجدر بنا أن نوضح هنا مهماتنا ومساهماتنا القومية والانسانية في ميدان حقوق الطفل العربي آخذين في الاعتبار الآفاق المستقبلية والحضارية للاهتمام بحقوقه مما دفع مجلس وزراء الشئون الاجتماعية

العرب أن يولي موضوع الطفولة اهتماماته، وأن يضع ميثاقاً لحقوق الطفل العربي يتضمن مجموعة سن المبادىء التي أكدت على ضمان الحقوق الاساسية للأطفال والتي شملت الجوانب الصحية والاجتماعية والتعليمية فضلا عن رعاية الفئات الخاصة بما فسح المجال لكل دولة عربية باتخاذ الخطوات المناسبة في حدود ما تسمح به امكاناتها المادية والفنية لتطبيق ما تضمنه هذا الميثاق.

ثانياً: رعاية الطفولة في العراق:

واصل العراق منذ ثورة تموز ١٩٦٨م تنفيذ خططه التنموية في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والتربوية بشكل متكامل وقد احتل قطاع الطفولة موقعاً هاماً وأساسياً في تلك الخطط وقد تجسد ذلك بعدد من التشريعات التي بموجبها تم انشاء العديد من المؤسسات الخاصة برعاية الطفولة وتوجيهها الوجهة السليمة، ان تربية النشء وبناء المجتمع الجديد واطلاق طاقات الانسان الخلاقة هي الأساس في اجراء تغييرات جذرية وشاملة في المجتمع العربي باتجاه تحقيق الأهداف المنشودة.

ان قضية الطفل في العراق تحتل مكان الصدارة من منجزات الدولة حيث نالت مرحلة الطفولة اهتماماً بالغاً من خلال توفير المستلزمات الضرورية للأطفال وإقامة هيكل تشريعي يحمي الطفولة ويضمن حقوقها باعتبارها اللبنة الأساسية لبناء المجتمع وتطوره.

وعلى طريق رعاية الطفولة اهتمت الدولة اهتماماً بالغاً بالدور الذي تلعبه المرأة تجاه الطفولة ودورها الايجابي في المساهمة لتحقيق التحولات الاجتماعية والاقتصادية نحو التقدم.

ومن الانجازات التي تمت على طريق رعاية الطفولة التوسع بانشاء دور الحضانة التي تقوم برعاية أطفال الأم العاملة وفق أسس تربوية صحيحة وزيادة عدد هذه الدور من (١٠) دور عام ١٩٦٨م الى (٢٠٠) دار عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م.

كما نلمس التوسع الكبير في انشاء ر ياض الأطفال حيث ازداد عدد الرياض من ١٣٥ روضة عام ١٩٦٨م الى ٥٤٩ روضة عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م.

وحظي التعليم الابتدائي هو الآخر باهتمام خاص ومتزايد باعتباره من القضايا الأساسية التي لها علاقة وثيقة بالتنمية وأبعادها وقطاعاتها المختلفة وشهدت السنوات الأخيرة نمواً وتطوراً ملحوظين في اعداد التلاميذ والمدارس والمعلمين لا سيما بعد تطبيق قانون التعليم الالزامي الذي وسع الفرص التعليمية لجميع الأطفال في العمر المدرسي (٦ ـ ١١) وتطبيق قانون مجانية التعليم والتغذية المدرسية

ونتيجة لهذا القانون ارتفع عدد التلاميذ ورافقته زيادة في اعداد المعلمين والمعلمات كما انعكست الزيادة على عدد المدارس الابتدائية من ٥١٣٧ مدرسة عام ١٩٦٨م الى ١٠٢٢٣ مدرسة عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م.

واهتمت المؤسسات التربوية المختصة في العراق برعاية الطفل اجتماعياً ونفسياً وصحياً فاعتنت بالجوانب الوقائية وبتوجيه الأطفال عن طريق توفير الامكانات الرياضية والاجتماعية والفنية والصحية واكسابهم المهارات والاتجاهات الصالحة التي تزود حياتهم بالمقومات اللازمة وتمكنهم من جعل حياتهم غنية بالخبرات مع تدريبهم على التفكير الصحيح وحس التصرف والعناية بالجوانب العلاجية باستخدامها البرامج كوسيلة للتخفيف س حدة المشكلات التي يعاني منها بعض الأطفال وتذليل عقباتها ونتيجة لهذا الاهتمام فقد تطورت أساليبها وبرامجها وأبنيتها وهيئاتها التدريسية وأصبحت هذه المؤسسات تعتمد على المراكز الصحية لرعاية الأمومة والطفولة بشكل كبير وقد تم شمول كافة المحافظات والأقضية والنواحي بخدماتها وأشارت احصائية لمنظمة الصحة العالمية صدرت عام ١٩٨٣م أن نسبة الوفيات بين أطفال العراق قد انخفضت انخفاضاً كبيراً من ١٢,٠٦٪ خلال الستينيات الى أقل من ٦,٥٪ عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م.

ولقيت برامج العراق المتعلقة بصحة الطفل ورعايته من الجوانب الصحية والاجتماعية والتعليمية تقديراً كبيراً من قبل منظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونسيف) والواقع أن هذا التطور الكبير في رعاية الطفولة في العراق يعود فضله الى اهتمام الدولة باعداد جيل متعلم يتمتع بالقوة والسلامة والصحة.

وهناك برامج واسعة يتم تنفيذها من قبل منظمات مهنية وجماهيرية تسهم بشكل فعال في صقل مواهب وقابليات الأطفال عن طريق تنظيمات الفتوة والطلائع والطلبة فالدولة ملتزمة بكل المبادىء الأساسية لحقوق الطفل وينعم أطفال العراق دونما أي استثناء بفرص النمو والرعاية الصحية والاجتماعية والتعليم واللهو والرفاهية، فالطفل العراقي رغم كل ما تعرض له نتيجة الحرب يعيش وضعاً شبه طبيعي وبشجاعة وثقة عالية بالنفس بسبب الرعاية والعناية التي يلقاها والتخطيط المبرمج والاستعداد المركز الذي تهيؤه الدولة لاستيعاب حالات اليتم والاعاقة في مؤسسات الرعاية المتطورة، ولقد ازداد الدعم والاهتمام بشئون الطفولة حيث أصبح جزءاً مهماً وكبيراً من اهتمامات الدولة وخططها المستقبلية

ان وضع الأطفال في العراق رغم استمرار الحرب وظروفها القاسية، كما بينا يختلف عن وضع الأطفال في المناطق الأخرى التي تعرضت للكوارث والحروب

ان العراق انطلاقاً من التزاماته المبدئية ووفاء منه للقوانين والأعراف الدولية يحتجز الآن المئات من أطفال ايران الذين وقعوا في الأسر وقد قام بالاتصال بعدد من المنظمات الدولية والاقليمية وأطلعها على أوضاعهم مما أدى الى زيارة ممثلي تلك المنظمات كمنظمة (أرض الانسان السويسرية) ومنظمة (الدفاع عن الأطفال

السويسرية) ومنظمة (اناهيتا الايرانية) لهؤلاء الأطفال الأسرى.

كما أطلع العراق هؤلاء الممثلين على ما وفره لهؤلاء الأطفال من ظروف وأوضاع انسانية لائقة بهم.

وقد أعلن العراق أن هؤلاء الأطفال لن يكونوا أسري حرب قط بل هم ضيوف العراق وأن التعامل معهم ينبغي أن يقوم على هذا الأساس، فلقد استقبل السيد الرئيس القائد صدام حسين أفواجاً في مكتبه الرسمي وقدم لهم الهدايا، وبذلك عادت البسمة الى وجوههم لاحساسهم باليد الرحيمة وبالحنان الصادق.

وعملا بتوجيهات السيد رئيس الجمهورية وانطلاقاً من التزام العراق بكل الأعراف والقوانين الدولية تم ما يأتي:

- عدم اعتبار هؤلاء الأطفال أسرى حرب بل أطفالا تقدم لهم جميع الضمانات اللازمة، كل حسب عمره.
- تسهيل زيارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر لهم مرة كل شهر وبشكل مستمر وتسليمهم الرسائل الواردة اليهم من أهليهم وتفقد حالتهم الصحية والمعيشية.
- وضع الأطفال في أماكن خصصت لهم مفصولة عن الأماكن التي يقيم فيها البالغون.

- الزيارة المنتظمة للأطباء المتخصصين لكل مجموعة من الأطفال وبمعدل مرتين في كل شهر

- توفير صيدلية كاملة مزودة بكل الأدوية والعقاقير الضرورية وهي خاضعة لتفتيش بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر شهرياً الى جانب توفير التمريض المطلوب.

- تخصيص قاعة خاصة للأطفال المرضى يشرف عليها طبيب مختص.

- تزويد الأطفال المعوقين بكراسي طبية متحركة وبعكازات طبية لمن أصيب بكسور تعوقه من السير والحركة الحرة.

- توفير سيارات اسعاف فوري للحالات المرضية العاجلة التي تستدعي نقل المريض الى المستشفى

- تهيئة الحمامات والمرافق المزودة بالمياه الباردة والساخنة

أما الخدمات الترفيهية فقد تحقق ما يأتي:

- اذاعة داخلية لتلاوة القرآن الكريم والأحاديث الدينية باللغة الفارسية
- بث برامج للأغاني والموسيقى التي تنسجم وأذواقهم.
- توفير مكتبة لكل مجموعة من الأطفال تضم كتباً خاصة بالأطفال.
- تهيئة ساحة لكرة القدم وأخرى لكرة الطائرة مع توفير لعب رياضية أخرى لكل مجموعة من الأطفال.

- عرض الأفلام الترفيهية المتضمنة اهتمامات الأطفال كعالم الحيوان والألعاب الرياضية وأفلام الكارتون بواسطة الفيديو بأوقات منتظمة

- اهداء جميع الأطفال نسخاً من المصحف الشريف.

- تقوم ادارة كل مجموعة من الأطفال باجراء زيارات للعبات المقدسة بين وقت وآخر وفي أيام المواسم والأعياد.

لقد شاهد الصحفيون العرب والأجانب الذين زاروهم في مقراتهم ما ذكرناه آنفاً وتحدثوا اليهم حديث البراءة عن شيء لا يد لهم فيه ولا يكادون يعلمون عنه شيئاً، عن طاحونة الموت التي سحقت اخواناً لهم أمام أعينهم وقد تملكهم رعب لن ينسوه، تحدث اليهم الزوار من أكثر من بلد ورأوا دموع الطفولة التي لا تعرف الكذب والرياء من أجل أهليهم تلك هي الطفولة التي حُرمت من أن تشب وتترعرع كأقرانها من أطفال العالم بل قذف بهم الى الحرب التي أشعلت فكانوا من وقودها.

ان العراق المتمسك بكل ما تفرضه مباديء الدين الاسلامي الحنيف المتمسك بكل القيم الانسانية والأخلاقية لم تفته مناسبة عيد الفطر المبارك فبادر الى دعوة عوائل الأطفال الايرانيين الأسرى لزيارة أطفالهم واللقاء بهم في العراق أو في أي بلد آخر يتفق عليه وباشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر، اذ كانت هذه تعبيراً صادقاً عن مواقف العراق المبدئية التي أعلنها والتزم بها أمام جميع الهيئات

والمنظمات الدولية وأمام الرأي العام العالمي ولكن مع الأسف شاء حكام ايران أن يحرموا الأطفال من رؤية ذويهم صبيحة العيد.

ولا تفوتنا هنا الاشارة الى البرنامج الثقافي المهني الذي أعده القائمون على رعاية الأطفال الايرانيين الأسرى والمتضمن برامج تدريبية أيضاً الى جانب اللغتين العربية والانجليزية بالاضافة الى تدريسهم اللغة الفارسية

لقد أعدت السلطات العراقية مدرسة لهؤلاء الأطفال تربعوا فيها على مقاعد الدراسة من أجل تهيئتهم لمواجهة الحياة بامكانات وكفاءات جيدة كما كان ينبغي لهم أن يكونوا.

ان العراق يجد نفسه في وضع تملي عليه مسئولياته والتزاماته ووفاؤه للأعراف والقانون الدولي بأن يستصرخ ضمير العالم بأسره من أجل ايقاف مجازر الأطفال الدامية التي يقوم بها النظام الايراني من خلال حربه العدوانية المفروضة على العراق.

أثر الحرب وانعكاساتها على عموم الأطفال

ان الحرب مشكلة انسانية عميقة الجذور في الحضارة البشرية وظاهرة قديمة قدم الحضارة نفسها وان آثارها متعددة ومتنوعة (سكانية، اقتصادية، اجتماعية، صحية، وغيرها) تمتد لتشمل كل أبناء المجتمع وتصيب الأطفال بشكل أو بآخر

لقد قاربت الحرب العراقية ـ الايرانية أن تدخل عامها التاسع ولا تزال نيرانها مشتعلة وأوارها متقداً ويتساءل البعض عن آثارها على سير الحياة في العراق فالحرب كما يعلم الجميع مهما كانت نوعاً وشدة لا ينتج عنها الا التخريب والخسارة في الأنفس والأموال والعمران ولو استعرضنا الحالة العامة في العراق بعد مضي هذه المدة من الحرب لوجدنا آثارها سلبية وايجابية، فهي ولا شك افقدته أبناء عزيزين استشهدوا دفاعاً عن الحق والوطن والكرامة وشرف الأمة، كما أفقدته الكثير من الأموال التي أنفقت على الأسلحة والمعدات العسكرية علاوة على ما أصاب العمران من تخريب نتيجة القصف العدواني هذا هو الوجه السلبي للحرب، أما الوجه الايجابي فقد تجلى في وحدة الشعب والتفافه حول قيادته مما أدى الى صموده خلال سنوات الحرب وايماناً بأنه على حق وعدوه على باطل، فويلات الحرب زادت شعب العراق قوة على قوته وعزماً على عزمه وأدت الى وحدته وتماسكه وتفانيه في الدفاع عن حدوده وشرفه

ان الفرد العراقي لم يشعر طيلة سنوات الحرب بنقص في المواد الغذائية والحياتية من حيث النوع والوفرة نتيجة الدعم الحكومي لضروريات الحياة، إلى جانب السلع الوطنية والمواد المنتجة في العراق والتي ازدادت وفرة وتنوعاً خلال فترة الحرب لتلبي الحاجة وتزيد.

أما حركة البناء والتشييد فقد سارت بوتائر عالية رغم ظروف الحرب مما جسد بحق شعار قيادة الحزب والثورة (يد تحارب ويد تعمل) اذ شيدت المجمعات السكنية لأبناء الشعب، وانشئت الجسور

العديدة وخطوط المرور السريع وأقيمت السدود ومشاريع الارواء الضخمة الى جانب المرافق السياحية الرائعة

وفي قطاع التربية والتعليم اعتمدت القيادة نظماً وبرامج متقدمة تعتمد العلمية والثورية في آن واحد مما أدى الى تقوية الفرد الناشيء جسماً وعقلا وروحاً فهو اليوم أشد صلابة وأقوى تعاوناً وتحملا لمسئولياته الشاملة وأكثر انتاجاً، وقد ساهمت المرأة في فروع الانتاج والاستثمار كافة، ان هذا الوضع الناهض للعراق وموقفه السليم من الحرب التي فرضها نظام ايران ودعوته الصادقة المخلصة للحق والسلام وسعيه في ذلك السبيل عن طريق الاشتراك في المؤتمرات الداعية لايقاف الحرب وتأييده للمساعي الحميدة والوساطات السليمة، كل هذا قد جعل من العراق مثلا صالحاً للنظام السياسي السليم الداعي للخير والتقدم الحضاري.

في هذا الجو الاقتصادي والاجتماعي والصحي والفكري السليم يعيش الطفل العراقي وفي الوقت الذي ساهمت فيه المرأة في عملية التنمية ودخلت ميادين العمل المختلفة لم يفقد الأطفال رعاية أمهاتهم اللواتي انخرطن في العمل فقد نابت عنهن في ذلك دور الحضانة ورياض الأطفال التي يقوم على ادارتها ورعايتها اخواتهن اللاتي يتمتعن بالخبرة والاختصاص في رعاية الأطفال وتربيتهم ووفرت هذه الدور كل ما يحتاجه الأطفال من رعاية صحية واجتماعية وتربوية سليمة

ان الطفل في هذا الدور يمكن تشبيهه بجهاز استقبال فائق الحساسية فهو يلتقط كل ما يدور حوله وما يسمعه ويطلب له تفسيراً ويتأثر به، لذا تلعب البيئة المحيطة به دوراً هاماً في تكوينه من النواحي النفسية والاجتماعية، والحرب وكل ما يصاحبها من انعكاسات علي البيئة المحيطة به تعتبر موضوعاً مثيراً لانتباه الطفل ويكون لاحداثها وللمحيط الذي يتعامل معه الأثر الكبير في مدى انعكاسات الحرب عليه

أولا: الانفجارات والقصف وأثره على الأطفال:

عمد العدو الايراني في غمار فشله المتكرر في عدوانه على الأراضي العراقية الى قصف المناطق السكنية في المدن والقرى بالمدفعية الثقيلة والصواريخ وقد كان لذلك آثاره السلبية على الأطفال لا من ناحية الاصابات المباشرة فحسب بل بما ينعكس على نفسية الأطفال من ردود فعل تبعاً لردود أفعال الكبار المحيطين بهم وعلى الأخص الأم أو المربية أو المشرفة في دار الحضانة أو المعلمة في الروضة أو المدرسة الابتدائية

فكلما كانت الأم والمربية والمعلمة هادئة وقت الحادث وقادرة على اجابة تساؤلات الطفل بشكل مقنع أصبح أكثر صلابة وهدوءاً في مواجهة مثل تلك المواقف وتجنبه الانفعالات النفسية الشديدة التي قد تؤدي الى أضرار لا تحمد عقباها.

ثانياً: وجود الآباء في جبهات القتال وأثره على الأطفال:

ان الأب في وجهة نظر الطفل هو المثل الأعلى الذي يقتدى وهو مصدر القوة الذي يحتذى، لذا فهو يحاول تقليده والتشبه به، فوجود الأب في جبهة القتال يجعل الطفل يشعر بالفخر والاعتزاز لكون والده مقاتلا شجاعاً يصد العدو دفاعاً عن الوطن لتحقيق الانتصار للعراق، إذ يشاهد الطفل في التلفزيون هذه الانتصارات بأم عينه فيتخيل نفسه في موقع والده لذا فهو يطالب دائماً بارتداء الملابس العسكرية ويختار العابه في الغالب من الأسلحة، يحلم وكأنه في جبهة القتال ويتخذ لجبهته أسماء حقيقية سمعها من أبيه أو أخيه أو أقاربه، ونظراً لشدة تحسس الطفل وسرعة تقبله فقد تعلم بعض الأمور الواجب اتخاذها عند حدوث الغارة الجوية أو أثناء القصف المدفعي المعادي كالانبطاح أو الحركة نحو الملجأ أو الابتعاد عن الزجاج الخ، وعند عودة والده من جبهة القتال في الاجازة نجده يلح عليه بطلب سماع أحاديث المعركة والبطولة ليزداد استيعاباً للمعركة وفهماً للأمور

ثالثاً: الأجواء العامة لظروف الحرب وتأثيرها على الأطفال:

رغم عناية الدولة واهتمامها الكبير ببرامج الأطفال في الاذاعة والتلفزيون الى جانب توسعها في مجال المطبوعات الطفلية من مجلات وقصص مصورة للتخفيف من أثر الجو العام للحرب على الأطفال خشية استكمال ظاهرة العنف والقسوة لديهم فالأطفال وكما

ذكرنا آنفاً سريعون في التقاط ما يدور حولهم، فالوضع العام يشدهم الى أخبار الحرب باعتبارها الحدث الأساسي الذي يحظى باهتمام الكبار، لذا نجد أجهزة الاعلام تولي برامج الأطفال عناية خاصة وتجعلها زاخرة بالمناهج الموجهة وبالأناشيد والأغاني الوطنية وصور المعركة مما يلبي رغبتهم ويستجيب لنزعاتهم اذ هم يميلون لحفظ الأناشيد الوطنية وترديدها لمشاهدة المعركة سن التلفزيون.

يتبين لنا مما تقدم الأهمية التأثيرية لوسائل الاعلام في صقل وتنمية قدرات الأطفال من خلال حفظهم للأناشيد الوطنية والأغاني الهادفة الخاصة لهم الى جانب ما يقوم به مسرح الأطفال من دور هادف عبر المسرحيات الوطنية والتمثيليات التي تمجد البطولة والشجاعة المرتبطة بتراث الأجداد وتاريخ الأمة العربية المجيدة.

لذا أصبح أطفال العراق الذين هم مستقبله ورجال غده المشرق مرآة المجتمع الصادقة الحقة.

رابعاً: أثر الحرب على الأطفال في المناطق التي تتعرض للقصف.

ان تجاوزات النظام الايراني وخرقه للأعراف الدولية بقصف المناطق السكانية وخاصة في المناطق الحدودية كان له أثره على مظاهر الحياة فيها، واذا كان القصف قد افقد أسراً من مساكنهم فاضطروا الى تغييرها فان بعض المناطق الحدودية تتعرض دوماً للقصف مما دفع الى تهجير سكانها لمدن أخرى مما كان له تأثير مباشر على مشاعر الطفل الذي فقد ما كان قد اعتاد عليه في بيته ومحلته ومدينته

ومع محدودية حجم حالات التهجير الا أنها تعتبر ذات تأثير كبير على نفسية الطفل ووضعه الفكري.

لقد أثر القصف العشوائي الغاشم بشكل عام على دوام الأطفال في هذه المؤسسات وخاصة على المناطق الحدودية، ففي الوقت الذي نجد فيه تزايد عدد الأطفال في دور الحضانة ورياض الأطفال اثر انطلاق المرأة في مجالات العمل المتنوعة وازدياد اسهامها في شتى مرافق الحياة وتنوع المسئوليات وانشغال الآباء في أمور الحرب، نجد الكثير من الأطفال يتخلفون عن الدوام في هذه المؤسسات أثناء القصف الذي تتعرض له مناطق سكنهم ومدارسهم وكذلك في أيام عودة آبائهم من الجبهة فترة الاجازة بقصد الاجتماع بهم وتمضية أغلب أوقاتهم في مصاحبتهم.

لقد انعكس أثر الحرب بشكل غير مباشر على ارتياد الأطفال للمتنزهات وأماكن اللهووواللعب، حيث أن انشغال الآباء في جبهات القتال أو بالخفارات من جهة وانشغال الأم بأعباء جديدة أضيفت الى مسئولياتها السابقة من جهة ثانية أدى الى قلة ذهاب الأطفال الى هذه الأماكن لصعوبة أن يصطحب الطفل غير أبيه أو أمه الى المتنزهات وأماكن اللهو واللعب علاوة على الخشية من حدوث غارة أو قصف يهز الطفل ويرعبه.

أثر الحرب على بعض فئات الأطفال

تميز العراقيون خلال الحرب المفروضة عليهم بالاصرار البطولي على القتال والبناء في آن واحد، اذ هم الأبطال البواسل في سوح القتال دفاعاً عن الأرض والشرف ويسترخصون الغالي والنفيس في

سبيل عزة الوطن وكرامته مكونين المثل العليا التي تلمع في سماء التضحية والفداء، كما أنهم الأبناء الأشداء في سبيل تنفيذ خطط التنمية ومشاريع العمران لبناء صرح العراق الزاهر الجديد.

ان ايمان العراقيين الراسخ بالتضحية في سبيل الوطن وعزته يقودهم الى أعلى وأسمى درجات الفداء والاستبسال التي تتوج بالشهادة، وللشهداء مكانة خاصة في نفوس المواطنين الا أن مكانتهم المتميزة لدى القيادة العراقية قد وضعتهم في أرفع الدرجات اذ العراقيين الأكرم منها جميعاً، لذا سنت من أجل عوائلهم وأولادهم جملة من التشريعات والقرارات التي تضمن لهم العيش الكريم الرغيد والرعاية والعناية الفائقتين.

لقد تركت الحرب العدوانية آثارها وبصماتها على الأطفال وقد ألمحنا فيما سلف من الحديث الى بعض مظاهر آثارها السلبية ولعل من المستغرب أن نشير هنا الى آثار ايجابية لحربنا المقدسة ضد العدوان الايراني، هذه الايجابية التي تبرز في تصرفات الأطفال وسلوكهم وهواياتهم.

اذ أصبح الطفل العراقي يتشبه بالرجل المقاتل الشجاع فيرتدي الملابس العسكرية ويحمل بندقيته الصغيرة محاولا أن يعكس صورة أبيه المقاتل اذ هو مثله الأعلى للبطولة والشجاعة بل هو لا يفتأ يردد بكل افتخار واعتزاز حكايات المعركة التي سمعها أو شاهدها في التلفزيون، بل كثيراً ما يطلب أن يكون له شرف المشاركة في الدفاع عن وطنه

وقد تجلت أروع مظاهر الافتخار والاعتزاز بأبائهم الشهداء وهم يتقدمون من القائد الرئيس صدام حسين ليضع على صدورهم أنواط الشجاعة التي منحها لآبائهم الأبطال

أولا: أثر الحرب على أبناء الشهداء والمفقودين والأسرى:

إن ما قدمته الدولة وما تقدمه الى أبناء وذوي الشهداء والمفقودين والأسرى يسهم بشكل فعال في التخفيف عن الأسرة.

ان البيئة المحيطة بالطفل تلعب دوراً كبيراً في حياته فالأسرة التي يسودها جو س الحزن ومظاهر الحداد تؤثر نفسياً على الطفل وتجعله مكتئباً حزيناً وميالا للعزلة أما الأسرة التي تتعامل مع مصيبتها بواقعية ووعي وتهتم بنفسية أطفالها وتوضح لهم أنه لا مناص من استشهاد الرجال دفاعاً عن شرف وسلامة وأمن الوطن الذي هو شرفه وسلامته وأمنه وأن والده من الأبطال فانها بذلك تحمي الطفل س الآثار الضارة وهذا ما نلمسه في الغالب من أسر الشهداء، واذا ما تجاوزنا أسرة الشهيد الى أسرة الفقيد فإننا نجد الحيرة والقلق والأمل المرتقب تسود الأسرة وتكثر التساؤلات حول مصيره بحيث يشعر الطفل بالقلق العميق من جراء عدم معرفته بمصير والده ويصبح القلق بالتدريج جزءاً من شخصيته مما يؤدي الى الحساسية المفرطة والاضطرابات النفسية الأخرى، أما بالنسبة لأطفال الأسرى فان ابن

الأسير يعيش في حالة القلق النفسي والانتظار وخاصة عندما ترد الأخبار التي تنم عن سوء معاملة الايرانيين للأسرى العراقيين واعدامهم أو التنكيل بهم.

ثانياً: أثر الحرب على أطفال معوقي الحرب:

يتعرض أبناء معوقي الحرب الى انفعالات نفسية ومواقف اجتماعية تختلف عن تلك التي يواجهها أبناء الشهداء والمفقودين والأسرى، فالطفل في الغالب يعاني من قلة اهتمام والديه به، اذ ينصرف اهتمام أمه الى أبيه بالدرجة الأساس هذا الاهتمام الذي أضاف الكثير من الأعباء عليها اضافة لأعبائها السابقة، مما يؤثر على اهتمامها بأطفالها، كما أن الوالد المعوق غالباً ما يكون في حالة لا تسمح له بأن يؤدي دوره المطلوب في رعاية أطفاله واحاطتهم بالحنان، اذا أصبح في وضع يحتاج فيه الى الحنان والرعاية لظروفه الصحية المؤلمة وقد يشيع جوا من الأسى والاكتئاب والانفعالات العصبية على الأسرة وبخاصة على الأطفال الذين لا يتفهمون ولا يدركون ما يعاني منه والدهم المعوق.

الخاتمـــــة .

لا يختلف اثنان في كون الحروب أبرز مظاهر الشر والخراب والدمار لذا ينادي قادة البشرية الى أهمية السلام وحل المشاكل بين الدول بالتفاهم دون اللجوء الى العنف غير أنه عندما تقع البلية والاعتداء العسكري الغاشم لابد من الرد عليه والوقوف بوجهه وهذا ما حصل بالنسبة للعراق، اذ أن النظام الايراني وهو يعيش الحقد الموروث ضد العراق وينبش جذوره التاريخية بدأ بالعدوان على المدن بشكل سافر معروف لذا لم يكن أمام شعب العراق غير التصدي لهذه الحرب، وقد اثبتت حكمة القائد وجرأة جنده وتلاحم شعبه أن الرد على العدوان أمر يؤكد عمق الأصالة الوطنية والقومية لدى الشعب العراقي وأن الحرب رغم كل عدوانيتها منحت العراقيين تقدير الشعوب واحترام المناضلين وثقة كل المحبين للبناء والسلام.

وما تعلمه العراقيون من الحرب يبرزه قائد العراق بقوله:
(هذه الحرب علمت العراقيين دقة أكثر وأعطتهم صورة عن الأصدقاء والأعداء وعلمتهم بمعنى أدق ما تستلزمه الحياة الجديدة من تهيئو وعمل وعلمتهم صبراً غير اعتيادي وقَوَّت شخصيتهم وعلمتهم الاعتماد على النفس وهي كلها حالات ستترك بصماتها الايجابية على الشخصية العراقية تاريخياً).

ان للحروب آثاراً عميقة على المجتمعات التي تتعرض لها وبخاصة الحروب الطويلة اذ تؤدي في كثير من الأحيان الى تغييرات

في البنى الاقتصادية والاجتماعية لتلك المجتمعات ولاشك أن أهم ما يتغير ويتأثر ضمن تلك التغيرات هو الانسان وبخاصة من كان في عمر الطفولة، وإذا كنا قد استعرضنا بعض الآثار الناجمة عن الحرب الطويلة المفروضة على العراق من قبل النظام الايراني الا أننا يجب أن نضع في الاعتبار أن تلك التغيرات تترك آثارها على الأسر والأطفال بنسب متفاوتة ويرجع هذا الاختلاف الى تفاوت المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأسر نفسها وهناك من الآثار المترتبة عن الحروب ما يتوجب علينا أن نشير اليها لاهميتها من حيث اقتراح الوسائل والأساليب والمعالجات لمواجهة الجوانب السلبية التي تتركها.

ومنها أن الحرب تستوجب انخراط نسبة كبيرة من الرجال في القوات المسلحة للدفاع عن تربة الوطن في جبهات القتال ويؤدي هذا بطبيعة الحال الى غيابهم لفترات طويلة عن بيوتهم وأطفالهم مما يترك آثاراً سلبية واضحة لغياب عنصر السلطة الأعلى في الأسرة، فانتقال عنصر السلطة من شخص لآخر يؤثر على الطفل ويسبب له الكثير من البلبلة بسبب اختلافات الشخصية بين الذين يتولون رعايته من جهة واختلاط الأمور عليه من جهة أخرى فيتعذر عليه التفرقة بين الصواب والخطأ.

كما أن غياب الأزواج لفترات طويلة عن البيت يترك أثراً كبيراً على بعض النساء لشعورهن بعدم الراحة والأمان وصعوبة المسئولية، الملقاة على عواتقهن مما يؤدي الى حدوث مشكلات تترك أثرها على

الأطفال، وعلى الرغم من اسناد ودعم الدولة لأبناء الشهداء معنوياً ومادياً الا أن هناك عوامل اجتماعية تتفاعل في التأثير على أسرهم وأطفالهم بشكل خاص وتختلف هذه باختلاف الشريحة الاجتماعية للأسرة وأهل الشهيد والمستوى الثقافي، ففي بعض الشرائح الاجتماعية تحدث الخلافات بين الزوجة وأهل زوجها الشهيد مما يؤدي الى تباعدهم الذي ينعكس بشكل مباشر على سلامة ورعاية الأطفال، وقد لا يكون باستطاعة أهل الزوجة تحمل الأعباء معها مما يؤدي الى نشوء المشاكل التي تؤثر على الأطفال لفقدانهم الرعاية المطلوبة كما أن تعرض الكثير من المناطق الحدودية العراقية لقصف مراكزها السكنية كمدينة البصرة وخانقين ومندلي وزرباطية والكثير من القرى والقصبات الحدودية يؤدي بشكل مباشر الى:

- استشهاد الكثير من الأطفال واصابتهم اصابات مختلفة يؤدي بعضها الى أنواع من العوق.
- تعرض الأطفال في المناطق المعرضة للقصف للخوف والقلق النفسي والحرمان س اللعب واللهو الخارجي بسبب القصف المفاجيء.
- تهجير بعض الأطفال عن مناطقهم المعرضة للقصف المستمر وفقدانهم مرابعهم ومناطقهم التي الفوها ورفاق اللعب والأصدقاء يؤثر في كثير من الأحيان على الأطفال وعلى مستواهم الدراسي نتيجة صعوبة تكيفهم مع الوضع الجديد، والرفاق الجدد.

كما أن فقدان الأطفال لأخوتهم أو أمهاتهم نتيجة القصف يؤثر تأثيرات سلبية على حياتهم بشكل كبير من الجوانب النفسية والصحية والاجتماعية

ان قضية الطفولة اليوم تعتبر قضية أساسية تتحمل الدولة مسئوليتها اذ ترصد المؤسسات المعنية الاعتمادات الكافية التي تلبي خططها المرسومة في هذا المجال وبالشكل الشامل الذي يحقق تنفيذ تلك الخطط بالتعاون والتنسيق بين جميع الأطراف المسئولة عن رعاية الطفولة في شتى مراحلها وعلى اختلاف أعمار الأطفال وأصنافهم بحيث شملت تلك الرعاية حتى الأطفال المعوقين، فصدرت العديد من التشريعات المتعلقة بشئون الطفل والأم والأسرة وتطويرها حسب تعدد الظروف وما قانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لسنة ١٩٨٠م الا أحد تلك القوانين الثورية الرائعة التي ركزت على رعاية الأطفال المعوقين والأطفال الذين يعانون من المشاكل وحالات التفكك الأسري أو التشرد.

ان حكومة الثورة في العراق اعتمدت فلسفة تربوية علمية واضحة مبنية على دراسة عميقة للمجتمع العراقي بحيث أمنت لكافة أبنائه تكافؤ الفرص وعدالة تنفيذ البرامج لتشمل جميع المناطق وكل الفئات.

وذلك بفضل وحنكة القيادة السياسية واهتمامها بالتخطيط المدروس المبني على أسس علمية رصينة من أجل بناء العراق الجديد القادر على رد العدوان والتغلب على العقبات وصولا الى الغد المشرق السعيد.